

غير المسلمين داخل حدود الكيان السياسي الإسلامي

١١

راكان آل عايض

٢٠٢٦ م

غير المسلمين داخل حدود
الكيان السياسي الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

- ١- مقدمة ٧
- ٢- ما الإسلام والإيمان؟ ١٥
- ٣- ادّعاء نسخ "لا إكراه في الدين"!!! ٢٣
- ٤- كيف يحتضن الإسلام غير المسلمين؟ ٢٧
- ٥- الجزية والصَّغار!!! ٣٠
- ٦- ادخلوا في السلم كافة ٣٥
- ٧- إقرار الإسلام بتعدد الشرائع.. ٥٠
وسبيل النجاة في الآخرة!!!
- ٨- القتل والقتال في الإسلام!! ٦٠
- ٩- النهي عن سب آلهة غير المسلمين ٦٥
- ١٠- إبراهيم و تحطيم الأصنام!!! ٧١

- ٧٦ ١١- مشروعية تحطيم الأصنام!
- ٨١ ١٢- هل في القرآن سُبُّ؟
- ٨٥ ١٣- الجهر بالسوء وردُّ السيئة بمثلها!
- ٩٢ ١٤- ختامًا

مقدمة

وضعنا في هذا الكتيب صغير الحجم تصوّرنا العام - كأشخاص ننطلق من المرجعية الإسلامية ونؤمن بأن الإسلام هو الأجدر في تقديم النموذج الإنساني الأرقى والأمثل لقيادة البشرية - فيما يتعلق بوضع وحقوق غير المسلمين داخل الكيان السياسي الإسلامي، وذلك استنادًا إلى النصوص الشرعية القطعية (وعندما نقول القطعية فإننا نعني القرآن على وجه التحديد والحصص)، وكيف يجب معاملتهم (أي غير المسلمين)، وتطرّقنا إلى الموضوعات التي تتصل بشكل أو بآخر بهذا العنوان الكبير.

ولقد أوجزنا رؤيتنا ههنا في هذه الصفحات القلائل، علمًا أن جزءًا كبيرًا منها قد نُشر من قبل في كتب سابقة، غير أننا أضفنا المزيد، وحرّرنا الكثير من النصوص

بما ينسجم مع الطرح الخاص في هذه المسألة بالذات،
وجمعنا ما أمكن جمعه مما يمكن أن يكون له صلة
بعنوان هذا العمل.

والكيان السياسي الإسلامي له شروط أو معايير
محددة يمكن من خلالها الحكم بإسلامية أو عدم
إسلامية الكيان السياسي (أي كيان سياسي)، وقد تناولنا
هذه المسألة بالتفصيل في كتاب خاص كان بعنوان:
«شرطاً إسلامية الكيان السياسي: متى يكون الكيان
السياسي إسلامياً أو غير إسلامي؟» وهو متاح في
المكتبات الإلكترونية على جميع المنصات، فلينظر
هناك.

ونحبذ أن يبدأ القارئ والقارئة الكريمان به قبل البدء
في هذا الكتيب، لأن موضوعه (أي هذا الكتيب) إنما هو
فرع من ذلك الكتاب، فلو تم الاطلاع عليه أولاً، أو على
الأقل الاطلاع عليه فوراً بعد الانتهاء من مطالعة هذا

الكتيب، لكان ذلك مما يزيد الأمر جلاءً واستيعاباً
للقارئ والقارئة الكريمين.

ويمكن اختصار شرطي إسلامية الكيان السياسي
ههنا في التالي:

١- أن يكون قيام ذلك الكيان بإرادة ورضا واختيار من
جماهير الشعب/الأمة، رجالاً ونساءً، فينبثق الكيان عنهم
باختيار ورغبة منهم، وأن يكون قرارهم (قبل وأثناء وبعد
قيامه) بيدهم (وتلك هي الشورى في الأمر: {وَأَمْرُهُمْ
شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ..} (الشورى: ٣٨)، {وَشَاوِرْهُمْ فِي
الْأَمْرِ ..} (آل عمران: ١٥٩)، والديمقراطية هي آليتها
المعاصرة المتاحة والممكنة والأقل سوءاً عالمياً، ضمن
مرجعية الوحي).

والشورى تقتضي - عقلاً وشرعاً ودلالةً - عدم وجود
أي شكلٍ من أشكال توريث السلطة، والتفرد بالأمر
والقرار، واحتكار الأموال والثروات، فلا توريث للملك

العام (مألاً وسلطاناً) في الإسلام. وهذه نقطة يغفل الكثيرون عنها، بمن فيهم الإسلاميون أنفسهم؛ فبمجرد وجود شكل أو صيغة ما من أشكال وصيغ التوريث للسلطة، فإنها تُسقط على الفور صفة «الإسلامية» عن ذلك الكيان السياسي أو الدولة، وإن قيل: (ملكية دستورية)، فلا فرق؛ فالدستور، كما قلنا في غير مكان، لا يجعل الحرام حلالاً، ولا الباطل حقاً.

لذا كان النظام السياسي فيه نظاماً شُوريّاً، جماهيريّاً، منتخباً بكامله من أسفل الهرم إلى أعلاه.

وهو نظام تداولي، تعددي، تشاركي، لا وراثي سلالي أو فئوي، وهو نظام أقرب إلى الديمقراطية الشعبية المباشرة منه إلى النيابية، أو يحتمل الاثنتين معاً: (وأمرهم شورى بينهم). ولذلك، يستوجب وجود مجالس ومؤتمرات شورية جماهيرية محلية وإقليمية واتحادية، على مستوى كل قرية ومحافظة ومدينة وإقليم، ثم على

مستوى الكيان الأكبر (دولة أو ولاية أو اتحاد أو شبه اتحاد).

والسلطة فيه للناس، ولمن يختارهم الناس، وليست بيد طائفة تدّعي أنها وسيط بين الناس وربّهم، فلا هو كهنوتي، ولا مشيخي. وهو نظام يستوعب الفقير والغني، وليس محتكرًا بيد طبقة من الأغنياء أو التجار وأصحاب رؤوس الأموال دون بقية الشعب والأمة، فلا هو أوليغارشي. وهو نظام جامع، منفتح، يقوم على أساس الانتماء الإسلامي العام، فلا هو عنصري، ولا قومي، ولا طائفي. والمواطنة فيه إنما تقوم على هذا الأساس، أي على الإسلام.

٢- أن يلتزم ذلك الكيان بمبادئ الإسلام الكبرى: الحرية/ أن تكون الشورى، التي هي: (حق الأمة في حكم نفسها بنفسها)، ضمن مرجعية وحاكمية الوحي، وبما لا يتعارض معه/ وحدة الأمة المسلمة/ القيام

بالقسط/ المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات،
وأمام القانون/ الكرامة للجميع دون تمييز أو تهميش أو نبذ
أو إقصاء، و صون حقوق وحريات الإنسان؛ كل إنسان،
ومعرفة أن الأكرم عند الله هو الأتقى، فلا محلّ مطلقاً
لعنصرية أو تعصّب، ورب العالمين خلقنا شعوباً وقبائل
لنتعارف، لا لنتنافر ونتناحر أو يعلو بعضنا على الآخر/
التواصي بالحق، والصبر على ذلك، والأمر بالمعروف،
والنهي عن المنكر/ أن تكون كل التشريعات والقوانين
الصادرة من مجالس التشريع المنتخبة من قبل الأمة
(أولي الأمر منكم) داخل الكيان الإسلامي ضمن حدود
الله تبارك وتعالى، منضبطة بمرجعية الوحي (المرجع
الأعلى)، ولا تتعارض معه؛ فلا تتعدى على شيء من
محرماته التي جاءت فيه حصراً (فالحرام ما حرمه الله في
كتابه)/ أن يكون المرجع عند وقوع النزاع بين الأمة وأولي
الأمر هو كتاب الله تعالى، لقوله سبحانه: {.. فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ
فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذُلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا { (النساء: ٥٩)،
أي إلى رسالة الله التي نطق بها وحملها رسوله وبلغها
وعمل بها كما أمر.

والتفصيل لكل بند مما سبق يرجع فيه إلى الكتاب
المشار إليه أعلاه.. ونكرر هنا كما في كل كتاب ننشره
أن الاقتباس من كلام مفسر أو كاتب هنا أو هناك حول
آية أو موضوع في سياق محدد لا يعني الاتفاق معه في
كل موضوع آخر.. ونفترض أن هذا أصبح من البديهيات،
ولكن نكرره تذكيرًا للبعض.

ولأن الإطالة في المقدمات غير محبب؛ فإليكم هذا
الكتيب، على بركة الله.. فلتطَّلِعُوا عليه.

ما الإسلام والإيمان؟

الإسلام هو التسليم المطلق لله تبارك وتعالى ، وبما أنزله على رسله في كتبه ، والاتباع له والعمل به :

{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: ١١١-١١٢) /
{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} (النساء: ١٢٤-١٢٥) /
{قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (الأنعام: ١٦١-١٦٣).

وهذا هو الإسلام الذي لن يقبل الله غيره، لقوله تعالى :
 {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى
 وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ
 لَهُ مُسْلِمُونَ} * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
 وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ { (آل عمران : ٨٤-٨٥).

وهو بالتالي المعنى العميق للإيمان الحقيقي ، كما في
 قوله تعالى : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ
 يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ
 هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحجرات : ١٥).

أما الإسلام بمعنى الاستسلام والإشهار الشفوي، فهو
 كما سلام الأعراب الذي جاء في قوله تعالى : {قَالَتِ
 الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ
 الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ
 أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (الحجرات : ١٤)،

وهم الذين استسلموا لما رأوا قوة المسلمين وتمكنهم؛ فهو إسلام خضوع واستسلام، لا إسلام تسليم واقتناع، لذا قال لهم تعالى: "...قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا...".

وكذلك المعنى ذاته نجده في قوله تعالى: {قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} (الفتح: ١٦).

أي: تقاتلونهم أو يسلمون لكم بأن يرموا أسلحتهم ويستسلموا، أو يكفوا أيديهم قبل البدء في القتال من الأصل، فلا يكون عندها مبرر للقتال، وهذا ما ينسجم مع القاعدة الكبرى في موضوع القتال في الإسلام التي نصّت عليها الآية الكريمة من سورة البقرة: {وَقَاتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ { (البقرة: ١٩٠).

وقد جاء في موقع [حبل الله] التابع لوقف السلিমانيّة،
تحت إدارة الأستاذ المحترم د. عبد العزيز بايندر، جاء التالي
حول ذات الآية في خانة الأسئلة، وكان السؤال:

أرجو من حضرتكم توضيح معنى الآية الكريمة {قُلْ
لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ
شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ عَلَيْكُمْ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا
حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}
(الفتح: ١٦).

أولاً: من هم القوم أولي البأس الشديد؟

ثانياً: ما معنى (تقاتلونهم أو يسلمون)؟ هل بمعنى
القتل أو الإسلام؟ أليس هذا إكراها في الدين؟ أرجو من
حضرتكم الرد والتوضيح، وشكراً جزيلاً.

الجواب: «نمن الأظهر أن الموصوفين بأنهم أولي بأس شديد هم أهل خير، لأن هذه الآيات نزلت في السنة ٦ للهجرة بعد صلح الحديبية، والحرب التي تلت هذه الحادثة هي معركة خيبر، حيث حصلت في السنة ٧ للهجرة، وقد كان أهل خير أصحاب قلاع وحصون، وكثيري العدد والعدة، وقد كان لهم من العدا مع المسلمين ما يدفعهم للقتال بشدة.

ويذكر المفسرون احتمالات أخرى، كحرب مسيلمة الكذاب وقومه بني حنيفة، وقيل غطفان وهوازن يوم حنين، وقيل فارس والروم.

ويصح أن تكون الآية عامة في كل دعوة لقتال المعتدين، حيث لا يصح التخلف عن واجب الجهاد إذا تعلق الأمر بأهل ناحية، فهناك الكثير من الآيات التي يمكن الاستناد إليها في هذا الصدد، منها قوله تعالى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ { (التوبة: ٤١)، وقوله: { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } (التوبة: ٤٤-٤٥) ..

وقوله (تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ)، فالمعنى: أي تقاتلون هؤلاء الذين تدعون إلى قتالهم، أو يسلمون من غير حرب ولا قتال. أي يقبلوا السلم ويكفوا عن عدائكم.

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ كَسَتْ مُؤْمِنًا} (النساء: ٩٤)، وهذه الآية تطلب من المؤمنين الذين خرجوا لقتال العدو أن يتبينوا حالهم فإن ألقوا السلام فينبغي تأمينهم على أنفسهم وعدم قتالهم، لأن القاعدة الأساسية في استهداف قوم بالحرب هو عدوانهم، حيث يقول الله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ {
(البقرة: ١٩٠). فقتال غير المعتدين هو عدوان لا يقبله
الله تعالى. ولا ينبغي للمسلم أن يرد دعوة السلم حتى
في أثناء الحرب، يقول الله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ
فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {
(الأنفال: ٦١)».

لأن الإسلام بمعنى التسليم المطلق لله وما أنزله في
كتبه على رسله، والذي هو المعنى العميق للإيمان
الحقيقي، ليس بالإكراه، ولا يتحقق بمجرد الإعلان
الشفوي والمسالمة الظاهرية، وإنما بالاقتناع القلبي غير
المنفصل عن الجانب السلوكي العملي؛ لذا قال تعالى:
{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ
الصَّادِقُونَ} (الحجرات: ١٥)، فلا ينفصل الإيمان (أي
الاقتناع والتسليم: "آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا") عن

العمل (الجهاد بالأموال والأنفس في سبيل الله: "وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله")، وما أكثر الآيات (وهي بالعشرات في كتاب الله) التي يأتي فيها الإيمان بالله مقترناً بالعمل الصالح، ليؤكد سبحانه على أنهما جزء واحد غير منفصلين عن بعضهما؛ فلا الإيمان وحده يكفي، ولا العمل وحده كذلك يكفي للنجاة، وإنما بهما معاً: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} (الكهف: ١٠٧-١٠٨)، ويقول تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (النحل: ٣٢)، ويقول عزّ من قائل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل: ٩٧).... على أن السلام ومسالمة المسالمين غير المعتدين هو جزء أصيل من تعاليم الإسلام ومعناه ذاته بلا أدنى شك.

ادعاء نسخ "لا إكراه في الدين"!!!

يقول تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

ادعاء النسخ: قيل إنها منسوخة بآية السيف (التوبة: ٥)، التي تأمر بقتال المشركين المعتدين الذين نقضوا العهد، وبالتالي ألغي بها حكم عدم الإكراه. ونقول: بل الآية جاءت بصيغة تقريرية قاطعة: {لا إكراه في الدين}، أي حكم إلهي قاطع يفيد النفي المطلق لكل صور الإكراه؛ سواء الإكراه على الدخول في الدين، أو على البقاء فيه، أو الإكراه على الخروج منه وتركه.

وكتاب الله مليء بما يؤكد ويعزز حق حرية الاعتقاد:

• {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (يونس: ٩٩)،

• {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (الكافرون: ٦)،
 • {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ}
 (الغاشية: ٢١ - ٢٢). وغيرها الكثير.

ومما جاء في تفسير [مفاتيح الغيب، للرازي] لآية البقرة (٢٥٦): «قول أبي مسلم والقفال: معناه أنه تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنما بناه على التمكن والاختيار.

ثم احتج القفال على أن هذا هو المراد بأنه تعالى لما بيّن دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعدر، قال بعد ذلك: إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء؛ إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان. ونظير هذا قوله تعالى: {.. فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ..} (الكهف: ٢٩).

وقال في سورة أخرى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (يونس: ٩٩). وقال في سورة الشعراء: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِنْ نَشَأْ نُنزِلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} (٢-٣). ومما يؤكد هذا القول أنه تعالى قال بعد هذه الآية: {قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}، يعني ظهرت الدلائل، ووضحت البيّنات، ولم يبق بعدها إلا طريق القسر والإلجاء والإكراه، وذلك غير جائز لأنه ينافي التكليف».

وآية التوبة (٥): {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، تتحدث عن قتال ضد معتدين لم يستقيموا للمسلمين بعد أن عاهدوهم (راجع سياق الآيات في سورة التوبة)، لا عن وجوب إكراههم

على الإيمان، فلا إيمان مع إكراه. وهي آية في سياق سياسي حربي، تتعلق بخيانة الموائيق والعدوان، لا بمسألة الاعتقاد. فلا تعارض على الإطلاق بين آية البقرة (٢٥٦) {لا إكراه في الدين} وآية التوبة (٥)؛ لأنها (آية التوبة) مقيدة بسياق وحالة خاصة متعلقة بقتال المعتدين ناكثي العهود والموائيق، لا كل مشرك وإن لم يعتد. فلا يوجد نسخ على الإطلاق، بل اختلاف حال وسياق ومقام.

كيف يحتضن الإسلام غير المسلمين؟ [١]

س- كيف يمكن أن يحتضن الإسلام غير المسلمين وآياته تقول: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}، ويقول: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}، ويقول: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}؟

ج- «ينبغي أن نعلم أن الآيات القرآنية التي وردت عند التعاطي مع الآخر المخالف في المعتقد تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأولى: تعرض العقائد.

الثانية: تثبت الحقائق.

الثالثة: تقرر الحقوق.

من خلال هذا التقسيم تكون إجابة السؤال وفق التالي، فالآية التي تقول: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} نجدها تقع في الصنف الثاني من الآيات (إثبات

[١]. الإجابة من مقال بعنوان (كيف يتعايش الإسلام مع غير المسلمين؟) للأخ الباحث ياسر كمال الغرابوي .

الحقائق) وتوضّح نوع العلاقة بين اليهود والنصارى والمسلمين من حيث الرضى القلبي والوجداني.

والآية الثانية التي تقول: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} تعرض الصنف الأول من الآيات (عرض العقائد) وهي الخاصة ببيان موقف الإسلام من عقائد وقناعات الآخرين.. فهذه الآيات السابقة عرضت لنا بعض الحقائق والعقائد الخاصة بالمخالفين للإسلام من اليهود والنصارى وموقف القرآن منها، فهل معنى عرض عقائد الآخرين في نظر الإسلام وعدم رضاهم عن الإسلام كدين مسوّغ للعداء والصراع والإقصاء لهم؟ ولكي تتضح الصورة الكلية لا بد من النظر إلى الصنف الثالث في التقسيم والتعرّف على فلسفته (آيات الحقوق)؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، فهذه الآية تنتمي للصنف الثالث الخاص بحقوق غير المسلمين، فالنص القرآني هنا أقرّ وطلب من المؤمنين به مراعاة حقوق المخالفين له في العقائد والحقائق؛ إذ أوجب على المسلمين صيانة هذه الحقوق، فلا بد أن تُصان وتُراعى ولا يُنتقص منها.

لذلك الخطاب المُتَشَجَّع ينبع من الخلط المُتعمَّد بين مساحات الآيات الثلاث (آيات العقائد.. وآيات الحقائق.. وآيات الحقوق)، حيث يستدعي البعض الآيات التي تتناول العقائد والحقائق كذريعة؛ ليهدم بها الحقوق الإنسانية والكرامة البشرية للمُخالفين له في الاعتقاد والإيمان!!

ومن هنا ينبع سوء الفهم واضطراب الأفكار وتوتر المشاعر الذي يقود إلى معارك طاحنة تشوِّه رسالة الإسلام وطبيعة الدين، وتضر بالاجتماع الإنساني».

(الباحث: ياسر الغرباوي)

الجزية والصَّغار!!!

ولا تعارض أيضا بين (آية البقرة: ٢٥٦) وبين ما جاء في قوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة: ٢٩)، إذ تنص الآية الكريمة صراحة على أنهم «لا يحرمون ما حرم الله ورسوله».

ونقول نحن: ماذا حرم الله في رسالته التي نطق بها رسوله؟ أليس الظلم، والاعتداء، وانتهاك الأعراض، وسفك الدماء، وأكل الحقوق، وقطع الطريق، والإفساد، والتقتيل.. إلخ؟

فبالآية، إذن، لا نتحدث عن عموم أهل الكتاب، وإنما عن فئة باغية معتدية منهم، لا ترى حرمة لما هو محرم شرعا، خصوصا وهم أصحاب كتاب، ولا مراعاة لحقوق العباد، ولا اعترافا بقيم العدل والكرامة الإنسانية

التي نزلت بها الكتب الإلهية. ومن ثم فقد شرع قتالها
درءاً لعدوانها، لا لمجرد اعتقادها.

ينقل الأستاذ القيسي في كتابه [إشكالية النسخ في القرآن
الكريم] تعليق الشيخ المراغي على قوله تعالى: {حتى
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون} : «أي قاتلوا من ذكروا
حين وجود ما يقتضي القتال، كالاعتداء عليكم أو على
بلادكم، أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم، أو تهديد
أمنكم وسلامتكم، كما فعل الروم. وكان ذلك سبباً لغزوة
تبوك، إلى أن تأمنوا عدوانهم بإعطائكم الجزية، بشرط أن
تكون صادرة عن يد، أي من قدرة واسعة، فلا يظلموا ولا
يرهقوا، وأن يخضعوا لسيادتكم وحكمكم، وبذا يسهل
السبيل لاهتدائهم إلى الإسلام بما يشاهدون من عدلكم
وفضائلكم التي يرونها رأي العين.

فإن أسلموا عم الهدى والعدل، وإن لم يسلموا
وأعطوا الجزية وجب تأمينهم وحمايتهم والدفاع عنهم،

وإعطائهم حريتهم في دينهم، ومعاملتهم بالعدل والمساواة كالمسلمين (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)».

ثم يكمل الأستاذ القيسي قائلاً: «وهذه الآية فيها دلالة واضحة على أن القتال لم يكن لأجل إرغامهم على الدخول في الدين، ولذلك قالت الآية {حتى يعطوا الجزية} ولم تقل حتى يؤمنوا، وإلا لما ربطت القتال بالجزية.

ثم يستمر في عرض قراءة أخرى لمفهوم الجزية قائلاً: يعتمد القائلون بالجزية على هذه الآية ويعتبرونها الخيار الثاني بعد الإسلام، فإما الإسلام أو الجزية أو الحرب. وهذه الثلاثية لا دليل لها في ديننا، والآية لا تذكر ذلك، بل ذكرت قتالا حتى يعطوا الجزية، و(حتى) لانتهاء الغاية. فما دامت الحرب قد بدأت فلا تنتهي إلا بنصر أو هزيمة، فإن حدث نصر أخذ المسلمون الجزية ممن اعتدى عليهم كتعويض لخسائر الحرب.

والجزية مشتقة من الجزاء، والجزاء يكون عند انتهاء القتال. فالآية بدأت بلفظ {قاتلوا}، والقتال لا يكون إلا على المعتدين {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (البقرة: ٩١). والقتال ينتهي بأن يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون. إذن فهي عقوبة يدفعها الجيش المحارب بعد هزيمته واستسلامه لمرة واحدة، جراء ما سببه اعتداؤه من خسارة في الحرب ومن تلف للنفوس والأموال. فإن عادوا القتال تم قتالهم ثم تغريمهم بالجزية، وهكذا. وقوله تعالى {وهم صاغرون} فيه إشارة إلى هزيمتهم واستسلامهم وصغارهم جراء اعتدائهم.

أما غير المسلم الذي يعيش بين المسلمين فلا يصح أن يعيش بينهم في صغار، وما دام لم يعتد فحكمه المعاملة بالبر والقسط، كما ذكرت آية الممتحنة (٨): {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ

يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }، والبر والقسط هما أساس المعاملة بين كل فئات المجتمع، مسلمهم وغير مسلمهم، والبر درجة أرفع من العدل. وعليهم أن يدفعوا مثل ما يدفع المسلمون من الزكاة وبنفس المقدار، فالزكاة حق للفقراء في المجتمع، والدولة تنظم ذلك الحق بين الأغنياء والفقراء من أي دين كان». انتهى النقل .

ادخلوا في السلم كافة

يقول عز من قائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (البقرة: ٢٠٨). «السِّلْم» - بكسر السين وفتحها مع إسكان اللام - بمعنى واحد، ويطلقان على الإسلام وعلى المسالمة. وبعضهم فرق بين اللفظين فجعل «السِّلْم» بكسر السين للإسلام، و«السَّلم» بفتحها للمسالمة، وأنكر المبرد هذه التفرقة. قال الفخر الرازي: وأصل هذه الكلمة من الانقياد. قال تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ} قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (البقرة: ١٣١).

والإسلام إنما سُمِّيَ إسلامًا لهذا المعنى. وغلب اسم السِّلْم على الصلح وترك الحرب، وهذا أيضًا راجع إلى هذا المعنى، لأن عند الصلح ينقاد كل واحد إلى صاحبه. و(كَافَّةً) أي جميعًا، وهي في الأصل صفة من كف بمعنى منع، واستعملت بمعنى الجملة والجميع

بعلاقة أنها مانعة من التفرق، وهي حال من قوله: (السَّلم) أي: يا أيها المؤمنون ادخلوا في الإسلام والتزموا بكل تعاليمه، ونفذوا جميع أحكامه وآدابه، واعملوا بكل أوامره ونواهيه، ولا تكونوا ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. فالمقصود التزام جميع شرائع الإسلام وأحكامه وآدابه. وبعضهم يرى أن قوله: (كَافَّةً) حال من فاعل ادخلوا، وهو ضمير الجماعة، والمعنى عليه: ادخلوا في الإسلام جميعاً، وانقادوا لأحكامه مجتمعين غير متفرقين، لأنه الدين الذي ألف الله به بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً.

وسواء أكان لفظ (كَافَّةً) حالاً من السَّلم أو من فاعل (ادْخُلُوا)، فالمقصود من الآية دعوة المؤمنين إلى التمسك بجميع شعب الإسلام وشرائعه، مع التزامهم برباط الإخاء الذي ربط الله به بين قلوبهم بسبب اتباعهم لهذا الدين الحنيف. وإذا كان المراد بكلمة (السَّلم)

المسالمة والمصالحة، كان المعنى: يا أيها الذين آمنوا، إن إيمانكم يوجب عليكم فيما بينكم أن تكونوا متصالحين غير متعادين، متحابين غير متباغضين، متجمعين غير متفرقين، كما أنه يوجب عليكم بالنسبة لغيركم ممن هو ليس على دينكم أن تسالموه متى سالكم، وأن تحاربوه متى اعتدى عليكم، فإن دينكم ما جاء للحرب والخصام وإنما جاء للهداية والسلام العزيز القوي الذي يرد الاعتداء بمثله» [تفسير الوسيط].

ويشمل هذا المعنى العام للإسلام (كما تقدّم) في جانب منه غير المسلمين عموماً، سواء في العالم أجمع أو ممن هم مواطنون يعيشون في كيان سياسي إسلامي، ما داموا مسالمين مؤتمنين، لا يعتدون على غيرهم، ولا يخونون المجتمع الذي يعيشون فيه، ويحفظ لهم كامل حقوقهم وحرياتهم (ونجد أن القرآن قد أباح حتى الزواج

من الكتابية، ما دامت محصنة وغير حربية، وحرّم الزواج من المشركة (٢): {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ

[٢]. يقول تعالى: {الْيَوْمَ أَجِلَّ لَكُمْ الطَّبَآئِثُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ..} (المائدة: ٥)، ويقول في موضع آخر: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ..} (البقرة: ٢٢١)، وقد يقال: أفليس قول النصارى بأن المسيح ابن الله، أو قول اليهود بأن عزير ابن الله كذلك، هو شرك بين؟ نقول: بلى، وهم بذلك مشركون بلا ريب -عدا من بقي منهم موحدًا، لأنهم أهل كتاب إلهي في الأصل قبل أن يُحرّف، وماداموا كذلك فالمتوقع منهم، بل الواجب عليهم، هو توحيد الله، إذ هو أساس دعوة كل الأنبياء والرسول-، ولذا كان تخصيصهم واستثناؤهم من جملة المشركين في مسألتي حلية طعامهم (عدا ما حرّمه الله في كتابه الخاتم، كلحم الخنزير والدم وغيرها) ونكاح نسائهم إذا ما كنّ محصنات (أي عفيفات)، وغير حربيات، وغير معاديات لله ورسوله، ولا طاعنات في دينه.

ولا يجرح ذلك في قضية الولاء والبراء، إذ إن الولاء والبراء موقف عقدي في الأصل، فإذا ما تحوّل موقف الآخر إلى عدااء وحرب، جاز حينئذ مقاتلته، وقد يكون والدها الإنسان المسلم مشركين، ومع ذلك يبرّهما ما داما غير محاربين، ولا يطيعهما في معصية أبدًا، ويحبهما -لكن محبة الله وشرعه فوق كل محبة أخرى، فلا نهى عن محبتهما المحبة الجبليّة، مع وجوب بغضهما لكفرهما، وكذا الأمر بالنسبة للزوجة الكتابية، تُحبّ المحبة الطبيعية وتُبغض لشركها وكفرها بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم-، ولو أن مسلمًا تزوج كتابية، ثم في لحظة ما التحقت بأهل ملتها في عدوانهم على المسلمين، فإن الزواج منها يغدو باطلاً، يقول سبحانه: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الممتحنة: ٩).

الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (المتحنة: ٨ - ٩). أي ما داموا لا يقاتلوننا في ديننا، ولا يسعون لإخراجنا من ديارنا، أو مساندة من يحاول إخراجنا من ديارنا، فلنا، بل علينا، أن نبرّهم ونحسن إليهم، ولهم أن يبنوا معابدهم، ويمارسوا شعائرهم، ويتحاكموا إلى ما تفرضه عليهم عقائدهم، ما دامت لا تؤثر على النظام العام في المجتمع المسلم، وخاصة نظام العقوبات.

فالسارق والزاني والقاتل، والذي ثبت عليه ما يوجب تنفيذ حد الحاربة، يُحاكم ويكون الحكم نافذاً بغض النظر عن معتقده وملته [٢].

[٢]. هنا أقول: إن لغير المسلمين داخل حدود الكيان السياسي الإسلامي أن يكون لهم ممثلون عنهم بالانتخاب في مجالس الشورى، لوضع التشريعات المتعلقة بهم في حدود لا تمس النظام العام، وخاصة نظام العقوبات كما ذكرنا، ورفع قضاياهم ومطالبهم ومعالجة أوضاعهم عامة.. ولكن ليس لهم أن يترشحوا لرئاسة الكيان الإسلامي أو قيادة القوات المسلحة، كون ذلك محصوراً بالمسلمين وحدهم، وليس هذا تمييزاً ضدهم (أي ضد غير المسلمين)، إذ إن طبيعة النظام الإسلامي أنه يقوم على الولاء المطلق والانتماء التام للإسلام وشرعه وقيمه، لا للأرض أو المصلحة أو غيرها مما يمكن أن يتشارك فيه المسلمون وغير المسلمين. وإذا كانت مرجعية النظام الإسلامي هي الإسلام، فكيف يفقد ذلك النظام من ليس مؤمناً بمرجعيته، فضلاً عن كونه جاهلاً بها أيضاً؟!

وإن اختار غير المسلمين التحاكم إلى القضاء الإسلامي في غير ذلك (أي في غير نظام العقوبات، كونه يشمل الجميع)، فنحكم بينهم بالقرآن: {..فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ..} (المائدة: ٤٢)، ولا نتبع أهواءهم: {وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ..} (المائدة: ٤٩)، وإن تولوا ورفضوا دون محاربة المجتمع المسلم: {..فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ^ط وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} (٤٩)، وهم الخاسرون حتمًا ولا يضرونا شيئًا: {..وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا^ط وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٤٢).

والله يتولى حسابهم يوم القيامة كما غيرهم، بالفصل بين شتى المختلفين، لقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ

اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ { (الحج: ١٧)، وقوله: {..لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (المائدة: ٤٨).

والمعنى هنا: فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين بالعمل بما في القرآن (باعتباره الحافظ لكل ما سبقه من الكتب، فمن آمن وعمل به فقد آمن وعمل بكل ما أنزله الله من قبل)، فإن مصيركم إلى الله، فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون، ويجزي كلاً بعمله.

ويقول تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (الحديد: ٢١). والآية واضحة تمام الوضوح: الجنة أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ (كل رسله)،

فالإيمان بالله ورسله وكتبه أمر واحد لا يقبل التفريق ولا التجزئة.

فإن قيل: أليس في قوله تعالى {..لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً..} ما يوحي إلى أن لغير المسلمين أن لا يؤمنوا بالكتاب الخاتم، وبالتالي أن لا يعملوا بما أنزله الله فيه، ويكتفوا بما لديهم من كتب سابقة، وبذلك يمكن أن تتحقق لهم النجاة في الآخرة؟

فنقول: أما فيما يخص قوله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} (المائدة: ٤٨)، فهو لا يعني أن لغير المسلمين أن يكتفوا بما لديهم من كتب سابقة دون وجوب اتباع ما أنزل الله في كتابه الخاتم (القرآن الكريم) المتضمن لما سبق إنزاله قبله، فالنجاة لا تتحقق إلا بالاتباع الصحيح للمنهج الإلهي الكامل، والقرآن فيه هو أهم الكتب من حيث كونه المصدق والحافظ لها

والمهيمن عليها، والناسخ لبعض ما فيها. والرد يكون أكثر وضوحاً بإيضاح سياق النص كاملاً داخل الآية المعنية، ونقتبس هنا مما قاله الأستاذ [د. عبد العزيز بايندر] في هذا الصدد: «قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (المائدة: ٤٨).

فالآية تتحدث عن طائفة تحكم بكتاب الله المنزل وأخرى تحكم بالأهواء، فكان هناك أمتان لكل واحدة منهما شرعة ومنهاج، ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة مؤمنة، لكن ابتلاءه لعباده وتركه الخيار لهم حال دون ذلك، وما على الإنسان إلا أن يختار منهج الأمة المؤمنة

وأن يستبق الخيرات، فالرسل جميعًا شرعتهم واحدة وكذلك أتباعهم، والانحراف عن منهجهم يؤدي إلى الشرعة الأخرى التي هي نقيض شرعة الرسل. يقول الله تعالى مخاطبًا خاتم أنبيائه: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (الجاثية: ١٨)، ولا يمكن القول إن شريعة الأنبياء قبل محمد عليه الصلاة والسلام أهواء، بل الأهواء ما كان نقيض شريعة الله المنزلة على جميع الرسل. وللتأكيد، جعل الله تعالى الإيمان بالرسل من أسس الإيمان حيث قال سبحانه: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (آل عمران: ٨٤ - ٨٥).

ولو كانت الأحكام تختلف لأصبح دين الله مختلفًا وليس واحدًا.

وفي سياق الرد على اليهود والنصارى الذين ادعوا أن دين الله هو اليهودية أو النصرانية، يقول الله تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا} قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} (البقرة: ١٣٥ - ١٣٨).

نفهم من الآيات أعلاه أن دين الله الذي ارتضاه لجميع البشر من لدن آدم عليه السلام هو الإسلام، وأن الشريعة واحدة، وأصولها وقواعدها العامة لا تختلف، أما الاختلاف الطفيف في الأحكام (الجزئية) فهو من قبيل

النسخ بمثله أو بخير منه، وهو ما أشار إليه قوله تعالى :
{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة: ١٠٦) « انتهى.

ونضيف على ما سبق قول الله تعالى في هذه الآية :
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا} (النساء: ١٣٦) وفيها «بيان لعناصر الإيمان التي
يجب أن يؤمن بها الذين آمنوا. بيان للتصور الإسلامي
الاعتقادي؛ فهو إيمان بالله ورسوله. يصل قلوب المؤمنين
بربهم الذي خلقهم، وأرسل إليهم من يهديهم إليه، وهو
الرسول صلى الله عليه وسلم، وإيمان برسالة الرسول
وتصديقه في كل ما ينقله لهم عن ربهم الذي أرسله.

وهو إيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله، يربطهم
بالمنهج الذي اختاره الله لحياتهم وبينه لهم في هذا

الكتاب، والأخذ بكل ما فيه، بما أن مصدره واحد، وطريقه واحد، وليس بعضه بأحق من بعضه بالتلقي والقبول والطاعة والتنفيذ. وهو إيمان بالكتاب الذي أنزل من قبل، بما أن مصدر الكتب كلها واحد هو الله، وأساسها كذلك واحد هو إسلام الوجه لله، وإفراد الله سبحانه بالألوهية بكل خصائصها، والإقرار بأن منهج الله وحده هو الذي تجب طاعته وتنفيذه في الحياة. وهذه الوحدة هي المقتضى الطبيعي البديهي لكون هذه الكتب، قبل تحريفها، صادرة كلها عن الله. ومنهج الله واحد، وإرادته بالبشر واحدة، وسبيله واحد، تتفرق السبل من حولها وهي مستقيمة إليه واصلة.

والإيمان بالكتاب كله، بوصف أن الكتب كلها كتاب واحد في الحقيقة، هو السمة التي تنفرد بها هذه الأمة المسلمة؛ لأن تصورها لربها الواحد، ومنهجها الواحد، وطريقه الواحد، هو التصور الذي يستقيم مع

حقيقة الألوهية، ويستقيم مع وحدة البشرية، ويستقيم مع وحدة الحق الذي لا يتعدد، والذي ليس وراءه إلا الضلال: {فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ؟}.

وبعد الأمر بالإيمان يجيء التهديد على الكفر بعناصر الإيمان، مع التفصيل فيها في موضع البيان قبل العقاب: {..وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}. وقد ذكر في الأمر الأول الإيمان بالله وكتبه ورسله، ولم يذكر الملائكة، وكتب الله تتضمن ذكر الملائكة وذكر اليوم الآخر، ومن مقتضى الإيمان بهذه الكتب الإيمان بالملائكة وبالיום الآخر، ولكنه يبرزها هنا لأنه موطن الوعيد والتهديد، الذي يبين فيه كل عنصر على التحديد. والتعبير بالضلال البعيد غالبًا يحمل معنى الإبعاد في الضلال، الذي لا يرجى معه هدى، ولا يرتقب بعده مآب. والذي يكفر بالله الذي تؤمن به الفطرة في أعماقها كحركة ذاتية منها

واتجاه طبيعي فيها، ويكفر بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، استمداداً من كفره بالحقيقة الأولى، الذي يكفر هذا الكفر تكون فطرته قد بلغت من الفساد والتعطل والخراب الحد الذي لا يرجى معه هدى، ولا يرتقب بعده مآب» [تفسير في ظلال القرآن].

إقرار الإسلام بتعدد الشرائع..

وسبيل النجاة في الآخرة!!!

سؤال: هل إقرار القرآن بتعدد الشرائع والمناهج في الدنيا دليل على أن الاكتفاء بإحداها (مع قيام الحجة بالرسالة الخاتمة وبلوغها للناس ووعيهم بها) كاف للنجاة في الآخرة؟!

يقول الله تعالى في سورة النساء: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا^[٤] بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ

[٤] لا تعارض بين قوله تعالى: {...لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...} (البقرة: ٢٨٥)، وقوله: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...} (البقرة: ٢٥٣) / أو قوله: {...وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} (الأنعام: ٥٥)؛ إذ إن المقصود من خلال جمع الآيات هو وجوب الإيمان بجميع الرسل دون استثناء، فلا يصح الإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم الآخر، ولا الإيمان بهم جميعًا مع استثناء واحد منهم. فهم جميعًا صادقون فيما جاءوا به ودعوا إليه، وهذا هو معنى التفريق المنهي عنه... أما التفضيل بين الرسل والنبيين مع الإيمان بهم جميعًا، فهو أمر مختلف تمامًا، والله من يحدده.

أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا {
 (١٥٠-١٥٢)، فمن آمن بكتاب من كتب الله دون بقية
 كتبه فهو كافر، وقد ضل ضلالاً بعيداً، والعذاب المهين
 في انتظاره. وعليه؛ فليس لأحد من اليهود أو النصارى
 مثلاً، أو غيرهم، أن يقول إنه مؤمن بالله ثم لا يؤمن بكتبه
 ورسله وملائكته، أو يكتفي بأحد الكتب المنزلة دون
 البقية، وأهمها آخرها (القرآن العظيم)، المصدق لها
 والمهيمن عليها، والمتعهد بحفظه من قبل الله عز وجل.
 فمن يؤمن ببعض الكتب (والأنبياء والرسل) ويكفر
 ببعضها (مع علمه ووعيه بها وبلوغها له) فهو كافر بنص
 القرآن.

وبالتالي فإن اليهود والنصارى ممن وصلهم القرآن
 ووعوه هم كافرون وعلى ضلال إن لم يؤمنوا به، مع العلم
 أن الإيمان به جزء من الكتب السابقة أصلاً، وجزء من

اعتقادهم إن كانوا يؤمنون حقاً بما أنزل في التوراة والإنجيل.

يقول تبارك وتعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الأعراف: ١٥٧). فكيف يقول أحدهم إنه مؤمن بالتوراة أو الإنجيل، ثم يبلغه القرآن فيكفر بالقرآن ومحمد؟ إذ لا يستقيم الإيمان بالتوراة أو الإنجيل دون الإيمان بالقرآن ومحمد. ومن آمن بالقرآن فقد لزمه اتباعه والعمل به وتحكيمه، ومن عمل به وحكمه فلن يرضى بغيره، كيف لا وهو المهيمن والحاكم على ما سبقه من

كتب، والحافظ والجامع لها؟ وهو كتاب الله الخاتم الذي حفظه الله جلّت قدرته من أوله إلى آخره.

كما أنه أيضا لا يستقيم إيمان المسلم وهو لا يؤمن بالتوراة والإنجيل وكل ما أنزله الله تبارك وتعالى، على أن من آمن بالقرآن فقد لزمه أن يؤمن بكل ما سبقه من الكتب؛ لأنه المصدق لها، المهيمن عليها، والمعتمد لما أراد الله بقاءه منها، والناسخ لما أراد الله نسخه منها. ومن آمن بالتوراة والإنجيل لزمه أن يؤمن بالقرآن ومحمد صلى الله على محمد، كون ذلك مخبرا به في تلك الكتب، وجزءا أصيلا من اعتقاد من يؤمن بها صدقا فيتبعها.

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ} (العنكبوت: ٤٧). فكيف يؤمنون بالتوراة أو الإنجيل ثم يجحدون بالقرآن ومحمد،

وهم على علم ودراية به؟ إنهم إذن كفار بالتوراة والإنجيل: {وَمَا يَجْعَلُ بَيِّنَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ}.

ولذلك استنكر الله -عز وجل- على اليهود توليهم عندما احتكموا للرسول الخاتم، في قوله تعالى: {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} (المائدة: ٤٣).. فليس الاستنكار هنا على احتكامهم للرسول، بل لأن حكم الله عندهم أصلاً ولم يعملوا به.

فكيف يحتكمون إليك وهم يعلمون حكم الله الذي لا تخالفه أنت، ثم لا يعملون به؟ إنهم إذن يريدون الهوى. فالاستنكار على كونهم يعلمون حكم الله، وهو ذات ما جاء به محمد في القرآن، ثم يتولون من بعد ذلك، أي بعد أن حكموك وحكمت لهم بما هو لديهم أصلاً، فليس أولئك حتماً من المؤمنين. «فهي كبيرة مستنكرة أن يحكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيحكم بشريعة الله وحكم الله، وعندهم، إلى جانب هذا، التوراة فيها شريعة الله وحكمه؛ فيتطابق حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عندهم في التوراة، مما جاء القرآن مصدقا له ومهيما عليه، ثم من بعد ذلك يتولون ويعرضون، سواء كان التولي بعدم التزام الحكم أو بعدم الرضى به» [في الظلال القرآن]. وقوله في نفس السورة: {وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (المائدة: ٤٧)، هو في ذات السياق أيضا، وعبرة (بما أنزل الله فيه) حاسمة هنا، فليس الحكم المطلوب بالذي أصابه التحريف والتلاعب، بل هو ما أنزله الله حصرا مما كتموه ولم يبينوه، أي ما أنزل في الإنجيل الحق قبل أن يمسّه أي تحريف. ولو أنهم اتبعوا ما أنزل الله فيه ولم يكتموه ويحرفوه لصدقوا بالقرآن وآمنوا به وعملوا به واحتكموا إليه، كيف لا وهو قد بشر بمحمد والقرآن؟ كما أخبر سبحانه في محكم كتابه: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي

إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ
التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ { (الصف: ٦)،
«واذكر، أيها الرسول لقومك، حين قال عيسى ابن مريم
لقومه: إني رسول الله إليكم، مصدقا لما جاء قبلي من
التوراة، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، وهو
محمد صلى الله عليه وسلم، وداعيا إلى التصديق به،
فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات
الواضحات قالوا: هذا الذي جئتنا به سحر بين» [التفسير
الميسر]. فلن يحكموا بالإنجيل قبل الإيمان به، ولو آمنوا
به صدقا، لصدّقوا وآمنوا بمحمد وبالقرآن، ولتحاكموا
إليه، ولما أعرضوا عن حكمه أبدا. فالأمر بالحكم
بالإنجيل ليس بديلا عن التحاكم إلى القرآن، كما قد
يفهم من يقتطع آيات القرآن عن بعضها، بل هو حجة
على من لم يؤمن بالقرآن ولم يحتكم إليه.

وبهذا نفهم أن الأصل في التحاكم هو إلى القرآن، فإن أبى اليهود والنصارى وغير المسلمين عموماً وتولوا، فنعرض عنهم ولا نكرههم ما داموا لا يقاتلوننا في ديننا. ولكن لا يعني ذلك أن عدم إجبارنا لهم على التحاكم إلى القرآن أنهم على هدى، وأنه لا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون، بل هو امتحان لهم، والاختيار لهم، والحساب يوم الفصل.

وفي ظل هذا الفهم يمكن لنا إعادة قراءة آية البقرة ٦٢: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، دون أن يشوش علينا بعض من اقتطع الآيات وابتسر الموضوعات، فقال إن مجرد الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح كاف لدخول الجنة، وغفل عن أن الإيمان بالله وطاعته على الشكل الذي يرضاه لا يتم أصلاً بغير الإيمان بكتبه

ورسله وملائكته، وأن الإيمان باليوم الآخر هو مما أخبرت به الكتب التي جاء بها الرسل، وأن العمل الصالح هو صالح بمعايير من؟ بمعايير الوحي المنزل من لدن الله عز وجل، لا بمعايير الأهواء البشرية.

وليس هذا العمل منفلتا بلا ضابط ولا غاية، ومن يحدد الغاية سواه جل جلاله؟

ولو كان الأمر كما يزعم البعض من أن النجاة في الآخرة تتحقق حتى لمن يكفر بالقرآن، فالسؤال له: كيف نفهم قوله سبحانه في محكم تنزيله: {.. وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} (النساء: ١٣٦)، وقوله {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا { (النساء: ١٥٠ - ١٥١).. ماذا نفعل بهذه الآيات؟!

ويقول عز من قائل: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} (الأنعام: ٩٢) «فالذين يؤمنون بأن هناك آخرة وحسابا وجزاء يؤمنون بأن الله لا بد مرسل للناس رسولا يوحى إليه، ولا يجدون في نفوسهم مشقة في التصديق به، بل يجدون داعيا يدعوهم إلى هذا التصديق. كما أنهم لإيمانهم بالآخرة وبهذا الكتاب يحافظون على صلاتهم، ليكونوا على صلة دائمة وثيقة بالله، وليقوموا بطاعته ممثلة في الصلاة. فهي طبيعة نفس، متى صدقت بالآخرة واستيقنتها صدقت بهذا الكتاب وتنزيله، وحرصت على الصلة بالله وطاعته» [في ظلال القرآن].

القتل والقتال في الإسلام!!

في كتاب الله تعالى هناك مبرر وحيد للقتل اختصرته هذه العبارة: {النفس بالنفس}، أي القصاص، أو الإفساد في الأرض الذي يكون مشتملاً على القتل المصحوب بسرقة أو اغتصاب أو استعباد أو أو ... إلخ (الحرابة).

أما عدا ذلك فدم أي إنسان حرام؛ وقد جعل الله أغلظ العقوبات على من قتل إنساناً آمناً متعمداً... {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (النساء: ٩٣)، واعتبر من قتل نفساً واحدة كأنما قتل الناس جميعاً... {...مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا...} (المائدة: ٣٢). ومبررات القتال في الإسلام محدودة جداً، وتتمثل في:

١- رد العدوان: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (البقرة: ١٩٠)،

بما يشمله ذلك من مقاتلة من ينكثون أيمانهم وينقضون
عهودهم مع المسلمين ويطعنون في دينهم (فيشوهونه
ويفترون عليه)، لقوله تعالى: {وَإِنْ وَانْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ
بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا
أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ
وَهَمُّوْا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ
فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} (التوبة: ١٢-١٣)،
أو النفي كما في قوله تعالى: {لِّئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا} * مَلْعُونِينَ ^{حط} أَيَنَّمَا تُقْفُوا
أَخِذُوا وَفَقْتُلُوا تَقْتِيلًا} (الأحزاب: ٦٠-٦١).

٢- ونصرة المستضعفين: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا

وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا {
(النساء: ٧٥).

٣- وحتى لا يكون هنالك إكراه [فتنة]: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} (البقرة: ١٩٣) (أي حتى لا يُفتن إنسان ما، بمعنى يُكره على اعتناق أو ترك دين ما).

والقتال في الإسلام ليس في سبيل أوطان أو حكام أو أشياء مادية؛ وإنما هو في سبيل الله؛ أي سبيل رفع الإكراه عن الناس {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الأنفال: ٣٩)، وليكون الدين كله لله، لا بد لبلوغ ذلك من خلق البيئة المناسبة، وهي البيئة الحرة التي يملك الإنسان فيها قراره، فيختار الإيمان أو الكفر دونما ضغط أو إكراه.. ولما جعل الله الإخراج من الديار مبرراً للقتال؛ فذلك لأن الإخراج ظلمٌ بواح؛ لذا كان القتال هنا قتالاً

لرفع ذلك الظلم، كي يعيش الناس أحرارًا في ديارهم وفي كل مكان، وليس على أن المعنى هو أن القتال من أجل الديار من حيث هي حجارة وحدود وتراب؛ لا، فهذا فهم مقلوب غير معتبر.

وإنما القتال هنا بوصفه رفعًا للظلم ودفعًا للعدوان، ليعيش كل إنسان في أي مكان بحرية وأمان.

النهي عن سب آلهة غير المسلمين

يقول المولى تبارك وتعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام: ١٠٨).

وأول ما يفهم من هذه الآية الكريمة للوهلة الأولى أنها لا تنهى عن سب آلهة المشركين مطلقاً أو من حيث الأصل، ولا أن النهي عن سبها هنا بمعنى احتراماً لها لذاتها؛ بل لسبب أوضحته الآية نفسها، وهو لئلا يسب الجهلة منهم الله سبحانه إذا ما سب أحد المسلمين ألتهتهم، أو باشرهم -في غير موضع المجادلة والمناظرة والمحاججة- بما يعتبرون فيه سباً لألتهتهم، وإن كان ليس سباً في ذاته.

ولذا علل الشارع الحكيم النهي في نفس الآية بخشية أن ينجر الجهلة والمخدوعون في الطرف المقابل "فَيَسُبُّوا

اللَّهِ"، وقال "عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ"، أي لأن سبَّهم لله، وإن كان رد فعل من جهتهم ومن جهلة منهم، فلا يغير من حقيقة كونه اعتداءً على الذات الإلهية، أي لا يغفر له كونه صادرًا من جاهل أو مخدوع؛ إنه اعتداء لا يدانيه اعتداء.

معنى ذلك أنه يجوز للمسلم سب آلهة المشركين من حيث الأصل -في غير موضع المجادلة- إذا لم يكن على مسمع منهم، ذلك لأنه لو كان سبَّه لها على مسمع منهم فقد يستفزههم ذلك السب فيسبوا هم بدورهم الله جل وعلا علوًّا كبيرًا، ولكن لا فائدة من ذلك على أية حال، فالمسلم ليس بحاجة للسباب والشتم والفحش في القول لإثبات الحق وإبطال عقائد الضلال والمضلين، والصواب هو أن يبين بطلانها وبطلان ما يدعونه من دون الله بالحجة والبرهان وبما نزل في كتاب الله المجيد، دون زيادة على ذلك، وأن يكون ذلك في موضع

المجادلة والمحااجة لا في أي موضع آخر، ثم يعرض عن المشركين إن هم أصروا على طريقهم وضلالهم، فلا إكراه في الدين مطلقاً، لقوله جل من قائل: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ..} (البقرة: ٢٥٦): ، وقوله: {..فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ..} (الكهف: ٢٩)، وقوله: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (الحجر: ٩٤).

وأعجبني ما جاء في كتاب د. يحيى جاد [الحرريات الفكرية والدينية: رؤية إسلامية جديدة] عندما تناول هذه الآية (الأنعام: ١٠٨)، فقال: «هذا تشريع ضابط للمجادلة في شؤون المعتقدات بحدود (احترام المشاعر الدينية)؛ حتى لا يؤول الحوار في شأن المعتقدات إلى (السباب) الذي (يجرح المشاعر) و(يفضي إلى الفتنة).

وهذا أصل عام يستوي فيه أهل المعتقدات والأديان من المسلمين وغيرهم، فالحرية في المجادلة بالحجة في عرض المعتقد ونقد مخالفه حق للجميع، وتقف هذه

الحرية عند حد السب والشتم بالنسبة للجميع أيضًا؛ إذ ليس من السب المنهي عنه إبطال ما يخالف الإسلام -من عقائد غير المسلمين- في مقام المجادلة، ولكن من السب -أو من الإساءة إن شئت قلت- أن تباشرهم في غير مقام المناظرة بذلك.

وكذلك الأمر بالنسبة لغير المسلمين؛ فما يصدر عنهم من نقد لدين الإسلام مما هو من أصول كفرهم -لا يعد سبًا، وإن تجاوزوا ذلك عُدَّ سبًّا.. سواء بسواء».

فإذا كان السب -أي ما ليس هو من أصول معتقداتهم، وفي غير موضع المناظرة- ابتداءً منهم -أي من غير المسلمين- (ووصل إلى حد الطعن في ديننا والافتراء عليه أو الإرجاف ونشر الأكاذيب بغرض الإفساد وإحداث الاحتراب داخل كيان المسلمين) فللمسلمين أن يمنعوهم من ذلك بالتالي:

أولاً: بألا يستمعوا إليهم {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ^{عَلَيْهِمْ} إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (النساء: ١٤٠) (وهذا شكل من أشكال الإنكار والرفض، ولهم أن يتظاهروا احتجاجاً إن كانوا في مجتمع غير إسلامي).

وثانياً: بأن يوقفوهم بقوة القانون إن لم يتوقفوا بأنفسهم عن طعنهم وسبهم، وذلك من خلال ما يضعه أولو الأمر المنتخبون من قوانين تمنع حدوث أو استمرار مثل هذا الطعن في دين الأمة، وإن هم نقضوا العهد مع المسلمين فقاتلوهم أو ساعدوا عدو المسلمين على قتالهم، عندئذ يصبح قتالهم مشروعاً {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا}

(الأحزاب: ٦٠). «وإنَّ نَقَضَ هؤلاء المشركون العهود التي أبرمتموها معهم، وأظهروا الطعن في دين الإسلام، فقاتلوهم فإنهم رؤساء الضلال، لا عهد لهم ولا ذمة، حتى ينتهوا عن كفرهم وعداوتهم للإسلام» [التفسير الميسر].

إبراهيم وتحطيم الأصنام!!!

وقصة إبراهيم عليه السلام عندما حطّم الأصنام لا تتعارض مع كلامنا الذي تقدّم، إذ إنه عليه السلام لما حطّم الأصنام، إنما كان ذلك في سياق خاص، وكان نتيجة تصاعد في مستوى التحدي ونبرة المحاججة بينه وبين قومه كما وضحت آيات سورة الصافات: {فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ} (الصافات: ٩١-٩٨)، وسبق أن أعلن لهم أنه سيكيد لآلهتهم، كما جاء في الآية: {وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ} (الأنبياء: ٥٧)، وذلك بعد أن قالوا له: {..أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ} (الأنبياء: ٥٥)، فكانهم حكموا عليه بأنه لاعب هازل، وبالتالي

كاذب! فكان كيده لأصنامهم وتحطيمها كما لو أنهم اضطروه هم لذلك لما واجهه من تكذيب واستهزاء، وفي هذا إشارة إلى أن تحطيم الأصنام، وإن كان السبيل الوحيد في وقت إبراهيم عليه السلام وسياقه لاستفزاز عقولهم وتحريرها، إلا أنه ليس السبيل الوحيد في كل سياق وكل زمان ومكان، ولما وجدوا أصنامهم محطمة تبادر فوراً إلى أذهانهم إبراهيم، فقالوا: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} (الأنبياء: ٦٠)، أي إنه كان معلوماً لديهم موقفه منهم ومن أصنامهم، وكان دائم التذكير بأن هذه أصنام لا تنفع ولا تضر، كقوله لأبيه وقومه: {..مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَفُفْكَآ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (الصافات: ٨٥-٨٧)... فلم يكن الأمر إذن عدواناً منه ولا بغياً، وإنما هو تحدٍّ حجاجي معلن بينه وبينهم، اضطروه على إثره لتحطيم تلك الأصنام كسبيل وحيد ضمن ظرفه وسياقه الخاص (فهو نبي رسول، وهو أبو الأنبياء و خليل الرحمن، وهو أمة من

دون الناس)، وعندما تهكّم بهم لما سألوه: {قَالُوا أَأَنْتَ
فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ} (الأنبياء: ٦٢)، وقال: {بَلْ
فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ} (الأنبياء:
٦٣)... فإنما كان لغرض استفزاز عقولهم وفطرتهم كما
قلنا، لا لقصد استفزاز عواطفهم أو جرح مشاعرهم كي
يسبوا الله، ومما يدلّ على أن الغرض ليس فعل تحطيم
الأصنام ذاته هو إبقاؤه لكبيرهم، فلم يحطمه {فَجَعَلَهُمْ
جُذَاذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ} (الأنبياء: ٥٨)،
فدلّ ذلك على أن القصد هو إيقاظ العقول واستنقاذ
الفطرة وإقامة الحجة عليهم، لا لمجرد الاعتداء على
أصنامهم ومكان عبادتهم!! وذلك مجال التأسّي بإبراهيم
عليه السلام، أي منهجه في التعامل مع ذلك الواقع، لا
ذات الفعل الذي ارتبط بسياقه الخاص (كنبي رسول).
ولما اعترفوا بأن آلهتهم لا تنطق ولا تنفع أو تضر: {ثُمَّ
نُكِّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ}
(الأنبياء: ٦٥)... ولم يقبلوا دعوته، لم يجبر منهم أحداً

على الإيمان والتوحيد، واكتفى بأن عبّر عن امتعاضه وتضجره منهم وآلهتهم بقوله: {أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (الأنبياء: ٦٧)، وهذا ليس سبًا طالما كان في سياق المحاججة بينهم، بل وعلى العكس، فهم الذين أرادوا إعدامه تحريقًا: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} (الأنبياء: ٦٨)... ولكن الله جعل النار بردًا وسلامًا عليه: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء: ٦٩-٧١)... ثم كانت المرحلة الثانية، وهي الهجرة: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ} (الصافات: ٩٩).. فهجر قومه وأرضه ابتغاء مرضاة الله وتقديماً للعقيدة على كل ما سواها، فلم يبق عندهم، ولا هو بالذي أكرههم وقهرهم.. ذلك لأنه لا إكراه في ولا على الدين، ولنتأمل هذه الآيات: {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْتَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا
إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا
عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِنْ
تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ { (العنكبوت: ١٦-١٨). فما على المؤمن
إلا الدعوة بالتي هي أحسن، ثم الإعراض بعد ذلك.

مشروعية تحطيم الأصنام!

ربما يسأل سائل هنا: هل يُفهم من ذلك أنه يُشرع لنا تحطيم أصنام المشركين؟

والجواب هو أن قصة إبراهيم عليه السلام جاءت في سياق خاص (دون أن نغفل أنه نبي رسول)، يظهر، كما بيّنّا، أنه كان في حجاج طويل معهم سبق عملية تحطيم الأصنام، وأنه ما حطّمها أساسًا إلا بعد أن وصفوه بأنه لاعب هازل، أي كاذب، فكأنه استفزّه ما قالوه، فحاول أن يثبت لهم أنهم على باطل، فاضطر إلى تحطيمها كيدًا لها، وقد سمعوا -كلهم أو بعضهم- وعيده قبل تحطيمها، غير أنه -مع ذلك- لم يحطّم أكبر تلك الأصنام وأهمّها، فدلّ أن الغرض لم يكن الاعتداء والتحطيم في ذاته، بل لإقامة الحجة عليهم إنقاذًا لفطرتهم ولعقولهم وتخليصها من الخرافة، وكان مصيره في نهاية المطاف أن أرادوا تحريقه، ولكن الله تعالى نجّاه بقدرته.

والقصة تثبت أنه لا احترام للأصنام لذاتها، ولا لأي شيء يُعبد من دون الله، لذا كان السب المنهي عنه في آية الأنعام (١٠٨) هو فقط لغرض عدم جرّ الآخر ليسب الله، لا لحماية الأصنام وتوقيرها!!!

ومن هنا نفهم ونستفيد كيف يمكن أن نتأسى بإبراهيم عليه السلام من خلال هذه القصة، وذلك عن طريق المحاجة العقلية وإقامة الحجة بالوسائل الأكثر نجاعة حسب ظروف كل زمان ومكان؛ إنه المنهج إذن هو محل الائتساء، لا ذات الفعل بالضرورة.

وعليه، فإنه لا يُفهم مطلقاً أنه يجوز لأي مسلم أن يعتدي على أصنام ومعابد الآخرين ما داموا غير معتدين، وما دامت تلك الأصنام ليست في مساجد المسلمين ولا في بيت الله الحرام، ذلك لأن العبرة من القصة هو في إقامة الحجة، لا في ضرورة تقليد ذات الفعل، الذي بدا من خلال تدبر الآيات أنه كان انفعالاً منه عليه السلام

(ليس بمعنى أنه فقد السيطرة على نفسه، وإنما بمعنى أنهم اضطروه لذلك مع تصاعد الموقف ووصفهم له باللاعب!) ليثبت زيف تلك الآلهة المصطنعة، ولا يمكن أن يقال إنه فعل خاطئ من حيث هو تحطيم لشيء يُعبد من دون الله، ولكنه ليس هو محل التأسي على وجه التحديد، ولا ينبغي إغفال السياقات المختلفة وما قد يترتب على تحطيم أصنام المشركين المسالمين من مفاسد جمّة لا حصر لها، لا سيما في سياق عصرنا الراهن.

وما ورد عن تحطيم النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام لا يختلف عما قلناه فيما تقدّم، فقد حطّم الأصنام التي كانت حول الكعبة، وذلك بعد أن فتح مكة، الحدث الذي كان عقب نقض المشركين للعهد مع المسلمين، وقد قال تعالى في كتابه العزيز: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ

هَذَا..} (التوبة: ٢٨)، فحرم بذلك دخول المشركين أنفسهم حدود المسجد الحرام، فضلاً عن أصنامهم.. والنجس وصف للاعتقاد الفاسد ذاته لما يترتب عليه من صفات وسلوكيات فاسدة وخبيثة، وليس المقصود عدم طهارة أجساد المشركين بالضرورة، كما قد يُظن.

ثم إن الإسلام لو كان هدفه تحطيم المعابد ومعبودات الآخرين لمجرد التحطيم ذاته، لما جعل تبارك وتعالى من ضمن أسباب التدافع بين الناس منع هدم المعابد والصوامع والمساجد، وفي هذا يقول تعالى: {أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: ٤٠). وبذلك نخلص إلى ما تقرر لدينا آنفاً، وهو أن تحطيم الأصنام في

قصة إبراهيم كان له سياقه الخاص (فهو في نهاية الأمر نبي رسول عليه الصلاة والسلام)، وأسبابه الواضحة المفهومة، وأن الهدف النهائي كان إقامة الحجة، وهو هدف ممكن التحقيق والتأسي به دونما تقليد فعل التحطيم ذاته؛ لأنه لم يكن المقصود في القصة كلها من الأصل، وإلا لما أبقى لهم كبير الأصنام، والذي كان أكثرها تعظيمًا وتوقيرًا من قبلهم.

هل في القرآن سب؟

قد يقال: هل تعتبر الآيات التي حكمت على المشركين وآلهتهم بأنهم سيكونون «حصب جهنم» {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} (الأنبياء: ٩٨)، والتي شبّهت الكافرين في مواضع بأنهم كالأنعام {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} (الفرقان: ٤٤)، أو الآيات التي ورد فيها حكم باللعن على من يؤذون الله ورسوله {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا} (الأحزاب: ٥٧)، أو من يكتمون الحق {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} (البقرة: ١٥٩)، أو من يقتل غيره عمداً بغير حق {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ

عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (النساء: ٩٣)، أو الآية التي شَبَّهَتْ من حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثم لم يحملوها بالحمار الذي يحمل أسفارًا {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الجمعة: ٥)، أو التي شَبَّهَتْ من أخلد إلى الأرض واتبع هواه وكذب بآيات الله بالكلب: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الأعراف: ١٧٦)، حتى قوله تعالى في وصف الكاذب كثير الحلف بأنه "عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ" [٥]: {وَلَا تُطِغْ

[٥]. «(الزَّانِيمُ) المستلحق في قوم ليس منهم لا يُحتاج إليه فكأنه فيهم (زَنَمَةٌ) وهي شيء يكون للمعز في أذنها كالقرط. وهي أيضا شيء يقطع من أذن البعير ويترك معلقا. وقوله تعالى: {عتل بعد ذلك زنيم}. قال عكرمة: هو اللثيم الذي يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزئمتها» [مختار الصحاح].

كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ * مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
 أَثِيمٍ * عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ { (القلم: ١٠-١٣) ... أو وصف
 المشركين بالنجس { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
 نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا }
 (التوبة: ٢٨) ، .. إلخ، هل تعتبر هذا الكلام سبًّا؟

والجواب: نعم ولا.. نعم، إذا أخذنا ذلك من جانب
 من تنطبق عليه -أو عليهم- تلك التشبيهات والأحكام،
 سيعتبرها سبًّا بلا شك، ولكن اعتباره ذاك لا قيمة له،
 وليس معيارًا ههنا.. ولا، لأن ذلك كلام الله الذي نزل
 بالحق، فهو يصف بدقة وموضوعية -دون ميل أو تحيز أو
 هوى أو انفعال- كل من تنطبق عليه تلك الأوصاف،
 سواء تقبلها أو لم يتقبلها، رضي بها أو لم يرض -وهي عن
 فئات محددة على أية حال-.

فمثلاً، قولنا لشخص ما إنه «سارق»، وقد ثبت
 بالدليل أنه سارق، سيعتبرها سبًّا له، وإن كان بالفعل

سارقاً، ولكنها، وإن اعتبرها سبّاً له، فلن تغيّر من حقيقة كونه سارقاً؛ فهي حكم مبرهن منطبق عليه، وإن اعتبرها هو سبّاً له. وبالمثل لو قيل: فاسد، أو زان، أو قوّاد، أو قاتل، إلخ، عمّن تنطبق عليه حقيقة.

وهكذا نفهم تلك الأوصاف التي ذمّت تلك الأصناف من البشر، فهي أوصاف تنطبق عليهم تماماً بالبرهان، وعليه، فحتى وإن عدّوها سبّاً، فإنها تبقى صحيحة، وتبقى حقّاً لا ظلم فيه ولا تجنّ، ولا تدخل في السبّ المنهي عنه.

الجهر بالسوء وردَّ السيئة بمثلها!

وربما يُطرح سؤال آخر حول قوله تعالى: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} (النساء: ١٤٨)، أو قوله: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (الشورى: ٤٠)، ما موضعهما من كل ما سبق؟

والإجابة هي أن هذه الآية (النساء: ١٤٨) تبيح صراحة للمظلومين أن يجهروا بالسوء من القول (على أن لا يكون فيه افتراء أو ظلم) ضد من ظلمهم، ومثال ذلك قولنا -نحن في الجزيرة العربية- عن آل سعود إنهم «غاصبون، محتلون، مجرمون، قتلة، إلخ»، فقد جمعوا كل ذلك؛ احتلوا الديار وطرّدونا منها، واغتصبوا حق الأمة في الحكم والاختيار، واستبدوا بكل صغيرة وكبيرة، ولم يمر يوم منذ قيام كيانهم الغاصب دون أن يُسفك دم حرام

بالسيف الأجرّب الذي أُرهبوا به المسلمون وارتكبوا به
أشكالاً وألواناً من الفظائع لا حصر لها... وقد انتهكوا
الأعراض (حتى إنهم لا يحصون كم امرأة افترسها جدهم
عبد العزيز.. عشرات، وربما مئات النساء، فماذا يُسمّى
ذلك إذن؟)، وحرّفوا الدين وجعلوه مطيّة لأهوائهم وغطاءً
لإجرامهم وفسادهم، وأكلوا أموال الناس بالباطل، إلخ،
فهذا وصف لهم بحقيقتهم لا افتراء فيه -ولا مثقال ذرة-،
وهو مما استنياه الله بالإباحة، بل وهو أقل بكثير من
حقيقتهم مقارنة بالواقع الشنيع المريع الذي نراه... فهو
إذن ليس سبّاً مجرداً ظالماً لهم، وإنما وصف حقيقي
لواقعهم، وهو من الجهر بالسوء الذي أباحه الله عز وجل
(أي إن لعن فلانٍ من الناس مثلاً أمر سيئ، لكن إن كان
مستحقاً له فهو مباح، كالقاتل العمد مثلاً)، فلم نفتر
عليهم ولم نظلمهم. ومن الجرائم اليومية التي يرتكبها كل
فرد من أفراد آل سعود؛ من أصغرهم إلى أكبرهم، هو
أخذهم الملايير من أموال جماهير الأمة المتهكّة بغير

وجه حق، كمخصصات تُصرف لكل فرد من آل سعود، فقط لأنه من آل سعود!!!!، بل ويعدّون ذلك حقاً خالصاً لهم، ومشهورة هي العبارة التي يشهرها عبيدهم في وجه المعترضين على أخذهم تلك المخصصات، قائلين: "هذا حق أبوهم"!!!!!! أي إن البلاد والعباد ملك خاص لهم!!! وهذا واقع، بل حتى البشر أنفسهم نسبوهم إليهم!!! فأصبحوا سعوديين (أي تابعين مملوكين لآل سعود) بدلاً من أن يكونوا مسلمين عابدين لله وحده، غير خاضعين لغيره.

كما أنه يجوز للمسلم أن يرد على السيئة بسيئة مثلها لقوله تعالى: "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا"، فإذا سبّه أحد بغير وجه حق فله أن يسبّه، والعفو هنا أفضل، ارتقاءً منه عن النزول لمستوى السفلة من البشر الذين لا يجيدون سوى السب والقذف، يقول تعالى: {..فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} / {وَلَا تَسْتَوِي

الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ { (فصلت: ٣٤) / }وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا{ (الفرقان: ٦٣) ... إلخ، على أن العفو هنا إنما يكون من موقع اقتدار وقوة، وبهدف إصلاح المعفو عنه، لكيلا يتمادى المسيء في إساءته بعد ذلك... ولكن إن ردّ، فذلك حقه، على أن لا يقع في القذف هو الآخر.

وقد وصف تعالى المؤمنين بصفات كثيرة، منها: }وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ{ (الشورى: ٣٩)، وقال: }وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ{ (الشورى: ٤١)...

لذا، فإنه عندما يقذفنا أذنان آل سعود وعبيدهم، فإننا لا نرد عليهم بالقذف، وإنما قد نلعنهم لأنهم ظالمون ومعاونون للظالمين، والله قد لعن الظالمين:

"..أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" (هود: ١٨)، أو قد ندعو عليهم وهكذا، لكن لا نقذف أعراضهم على الإطلاق، -اللهم إلا إذا كان معنا برهان، فلا يصبح ذلك حينئذ قذفاً، وإنما هو وصف صحيح وحقيقة-، وإنما نرد بما يسمح به ديننا الحنيف وحسب. وهذا كله هو استثناء من الأصل الثابت في التعامل مع كل البشر ما داموا مسالمين، وهو أمره تعالى بأن "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا.." (البقرة: ٨٣)، بل وحتى في مجادلة المخالف المسالم من أهل الكتاب، أمرنا المولى بأن لا نجادلهم إلا بالتي هي أحسن {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (العنكبوت: ٤٦)، وحتى مع غيرهم: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (النحل: ١٢٥)، واستثنى، بطبيعة الحال، الظلمة منهم: "إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ".

والحكمة بالتعريف هي وضع الشيء في محله، وفي الآية هنا تُفهم على أنها تنزيل النص الحكيم على الواقع الذي هو متغير باستمرار بملايساته المختلفة تبعاً لاختلاف المكان والزمان والأشخاص.

وبذلك نستطيع القول إن الدعوة بالحكمة تتطلب هذه القدرة على وعي وإدراك حجج القرآن العظيم، والدقة في تنزيلها حسب السياق الذي يناسبها والوقت المناسب لها كذلك، بالطريقة الأنجع، والموعظة الحسنة هي ما تضمّنه كتاب الله تعالى من مواعظ كثيرة، والجدال الحسن، أي المتقن المستند إلى البراهين العلمية والعقلية والقرآنية (وليس من السب المنهي عنه إثبات بطلان آلهة المشركين وعجزها وإيراد حكم الله فيها وعنّها، طالما كان ذلك في موضع المناظرة والمحااجة)؛ وبذلك نحقق الأسلوب الصحيح في الدعوة إلى سبيل ربّ العالمين.

خَتَامًا

أقول: هذا ما عندنا، فإن كنت قد أصبت الحق في شيء مما كتبت، فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وسلام على جميع الأنبياء المرسلين.
والحمد لله رب العالمين.

وكتبه
مراكان آل عايش
بتاريخ:
٢٠٢٦/٠٩/٠٧ م
الاثنين مساءً
لندن

* حول المؤلف

راكان آل عايض / كاتب وباحث إسلامي، وناشط حقوقي وسياسي معارض من جزيرة العرب، أو ما يسمى غصبًا وعدوانًا بـ«السعودية». يقيم في المملكة المتحدة (بريطانيا) منذ سنوات، وينشط من هناك.

نشر له عدة كتب، أبرزها:

كتاب: [غير المسلمين داخل حدود الكيان السياسي الإسلامي] (٢٠٢٦).

كتاب: [عَقِيدَتُنَا] (٢٠٢٦).

كتاب: [على طريق التحرر والثورة في الجزيرة العربية: مقالات مختارة (٣)] (٢٠٢٦).

كتاب: [على طريق التحرر والثورة في الجزيرة العربية: مقالات مختارة (٢)] (٢٠٢٦).

كتاب: [على طريق التحرر والثورة في الجزيرة العربية: مقالات مختارة (١)] (٢٠٢٦).

- كتاب: [مقالة السعي المقدّس] (٢٠٢٦).
- كتاب: [المرجع الأعلى في الإسلام: نحو إعادة مركزية وهيمنة القرآن]. (٢٠٢٦).
- كتاب: [شرطا إسلامية الكيان السياسي: متى يكون الكيان السياسي إسلاميا أو غير إسلامي؟] (٢٠٢٦).
- كتاب: [مفهوم الملك في القرآن: بين التمكين المشروط المؤقت والتمليك المطلق الدائم]. (٢٠٢٥).
- كتاب: [المرأة المسلمة: بين تحرير الوحي وقيود الفهم]. (٢٠٢٥).
- كتاب: [نحو دولة مدنية شوروية جمهورية اتحادية في جزيرة العرب: رؤية للإصلاح والتغيير السياسي في ضوء المبادئ الإسلامية]. (٢٠٢٥).
- كتيب: [التغيير الذي نريد: جذري، شامل، ومنهجي] (٢٠٢٥).

غير المسلمين داخل حدود الكيان السياسي الإسلامي

وضعنا في هذا الكتيب صغير الحجم تصوّرنا العام - كأشخاص نطلق من المرجعية الإسلامية ونؤمن بأن الإسلام هو الأجدر في تقديم النموذج الإنساني الأرقى والأمثل لقيادة البشرية - فيما يتعلق بوضع وحقوق غير المسلمين داخل الكيان السياسي الإسلامي، وذلك استناداً إلى النصوص الشرعية القطعية (وعندما نقول القطعية فإننا نعني القرآن على وجه التحديد والحصص)، وكيف يجب معاملتهم (أي غير المسلمين)، وتطرّقنا إلى الموضوعات التي تتصل بشكل أو بآخر بهذا العنوان الكبير.

راكان آل عايض